سينما

خارج الكادر داخل السينما

مشهدٌ لبناني يتفوّق على خيال الصورة

فصلٌ جديدٌ من التعبئة العامة في لبنان يدفع إلى تساؤلات عن جدوى الإقفال، وعن كيفية إدارة الأزمة، وعن حالة لبنانيين كثيرين في خرابهم

نديم جرجوره

إنّه اليوم الأخير قبل الإقفال العام والتام والشامل، الذي سيعيشه البلد (لبنان) برمّته، بين 14 و25 يناير/ كانون الثاني 2021. مفردة «برمّته» مشكوكٌ بها. الاستثناءات، المرتبطة بالطائفي والسياسي والاقتصادي النافذ والحاكم، يصنعها أمراء حرب مؤجّلة، وسلمٍ أهليّ هشّ. هذه لا يُعلى عليها إطلاقاً.

يُفترض بالإقفال الجديد أنْ يكون قاسياً. أنْ يصنع فرقاً. أنْ يُخفّف من سطوة وباء (كورونا) وبطش نظام. أنْ يُعين على إعادة تنظيم أمور، يجب تنظيمها في إدارة أزمة، موصوفة بالأسوأ في تاريخ البلد. أزمة اقتصادية وسياسية ومالية، تسبق أزمة صحّة وترافقها. هذا كلّه ينعكس سلباً على الاجتماع والحياة اليومية. لكنّ السؤال الأبرز معروفٌ: هل الإقفال العام والتام والشامل، إنْ يُطبَّق فعلياً، سيصنع فرقاً؟

إنّه اليوم الأخير قبل الإقفال. حشودٌ في متاجر كبيرة ومحلات صغيرة وصيدليات، وفي شوارع عدّة أيضاً. أناسٌ يرتعبون إزاء نقص ربما يحصل في حاجاتهم، فيتناسون أنّ الأزمة تحتاج إلى حراكٍ يبلغ مرتبة انتفاضةٍ حقيقية، ولا بأس بثورة، فالخراب متفشٍّ، وتفشّيه يتساوى بسوئه وتفشّي الوباء العالميّ. اليوم الأخير مُخيفٌ، رغم تكراره في الأشهر الماضية. هلعٌ يُصيب كثيرين، وسلطة تبتهج لهلع كهذا، لإدراكها أنّ الأزمة، مهمّا تقوىً وتزداد، لن تحرّك في أناسٍ يهلعون أيَّ ساكنٍ ضد السلطة صانعة الأزمة، وضد أزمة يُراد لها استمرار، لتأمين مصالح ضيّقة وسطوة أكيدة.

لليوم الأخير هذا سينمائيّتُه. أعجزُ عن تذكّر لقطات ومَشاهِد تُشبهه. لكنّ المناخ سينمائي، كأنّ الحاصلَ فيلمٌ تتداخل فيه أنواعٌ وأساليب وأمزجة، يُفبركها صنّاع مآسٍ وهواة تنكيل ومحترفو عنفٍ متنوّع. يُذكّرني هذا ببداية كورونا، وبأول تعبئة عامة. يمرّ بي شابٌ. ينظر إليّ ويقول: «كأنّنا في فيلم»، ثم يمضي منكّساً رأسه من دون تبيان مَلامح وجهه بعد قوله هذا. تمرّ أشهرٌ طويلة. إقفال ولا إقفال. تعبئة ولا تعبئة. ثم انهيار يُضاف إلى انهياراتٍ، وإدارة الأزمة الصحّية تنحدر إلى أسفلِ درَكٍ ممكن، والأزمات الأخرى أشنع من أنْ تُصوِّرها كاميرا، أياً يكن نوعها الحديث.

سيُغلق البلد، لكنّ الاستثناءات معروفة: هناك مدنٌ لبنانية عصيّةٌ على نظام، رغم بطش النظام وعنفه في مدنٍ أخرى. كثيرون يرفضون كلّ وقاية، ويُفضّلون

> المناخ سينمائي والحاصل فيلم تتداخل فيه أنواع وأمزجة

عن كلّ حذر. الحجج لا تُعدّ ولا تُحصى. التبريرات أخطر من الوباء والأزمة، لأنّ قائلين بها يتغاضون عن جوهر المشكلة: النظام الحاكم موبوء، وعليه الرحيل فوراً، وإنْ يصعب تشكيل بلدٍ في أمدٍ قريب، وإنْ يستحيل كتابة عقد اجتماعي عصريّ جديد في وقتٍ قليل. الإقفال العام والتام والشامل غير نافع، رغم إمكانية تخفيفه أرقاماً تتصاعد في الإصابات والوفاة (والإمكانية غير مؤكّدة كلّياً)، مقابل انهيار كلّ شيء.

التجوّل في شوارع المدينة، في الساعات الأخيرة من اليوم السابق على بدء الإقفال، يُثير قلقاً إضافياً. المفردات غير متمكّنة من وصف دقيق للمشهد. التصوير أعجز من أنْ يكشف وقائع ما يحصل. التسجيل أوهن من توثيق انفعالٍ أو مواجع أو تخبّطات أو استسلام لصمتٍ ويأس، أو لأنانية وذاتية مفرطتين في التقوقع في الحيّز الضيّق للفرد. أسأل: أيُمكن لسينمائيّ أنْ يصنع ما يؤرّخ خراب بلد وشعب، أصدق من الخراب الحاصل واقعياً؟ أيكفي التجوّل لاكتشاف موتٍ يتنزّه في الأمكنة والفضاءات والنفوس؟ أتحتاج الكاميرا إلى مخيّلةٍ لإنجاز سينمائيّ، يُظنّ أنّه قادرٌ على التقاط تلك اللحظة الأبشع في تاريخ بلدٍ، يحتفل بمئة عام على تأسيسه (1 سبتمبر/ أيلول 2020)، مع أنّ الإيجابيّ في المئة عام هذه نادرٌ إنْ لم يكن مضمحلّاً، إنْ يكن هناك إيجابي ما؟ أي فيلم سيتحقّق بعد انحسار الأزمات، أو انحسار أزمة واحدة على الأقلّ؟ ألن تكون أفلامٌ عدّة، سابقة على اندلاع أزمة الاقتصاد والمال، وأزمة كورونا، وأزمة النظام، وأزمة الشعب، تقديماً حاداً وجميلاً ومهمّاً لأوبئة تفتك بالبلد وناسه، منذ أكذوبة النهاية الملتبسة للحرب الأهلية اللبنانية (1975 . 1990) على الأقلّ؟ ألن تكون كتابات وتحليلات وأقوال، وإنْ يكن عددها قليلاً، تنبيهاً إلى حاصلٍ في راهنٍ مُثقل بألف وباء وخيبة وموتٍ، قبل أنْ يحصل؟

الأيام القليلة الأولى من عام 2021 تُنذر بالأبشع والأقسى والأسوأ. التفاصيل اليومية مُصابة بتخبّط وخلل وانكسار، وأصولها متجذّرة في أعوم لاحقة على تلك النهاية الملتبسة للحرب الأهلية اللبنانية.

أسأل: أي فيلم لبناني سيُشاهَد بعد انتهاء الحاصل في راهنٍ يحتضر؟ أي نوع سينمائي سيُصنع، وأيّ أداء سيُقدَّم، وأيّ صُوَر ستُبثّ، وأي اختبارات ستُعاش؟

اليوم السابق على بدء الإقفال التام والعام والشامل، إنْ يتحقّق إقفالٌ كهذا وإنْ يُحقّق إقفالٌ كهذا المُراد منه، يُشبه شريطاً بالأسود والأبيض، من دون أنْ يكون له رونق الأسود والأبيض في سينما قديمة. شريطٌ يقول بصمتٍ كم أنّ البلد معطوبٌ، وكم أنّ ناس البلد مهمومون بكلّ ما يُناقض عيشاً طبيعياً.

اليوم الأخير هذا: ألن يكون مجرّد مشهدٍ لبناني مزرٍ، يتفوّق على خيال الصورة؟

بيروت 2021: شارعٌ يخلو من جمالية المتخيّل (أنور عمرو/ فرانس برس)

أفلام جديدة

■ America 2 Coming لكريغ بروير، تمثيل إدي مورفي وأرسِنيو هال وشاري هادلاي (الصورة): بعد 32 عاماً على إنجاز الفيلم الأصلي (1988)، يُنجز فيلمٌ ثانٍ عن الأمير أكيم جوفّر، الذي يكتشف عشية تنصيبه ملكاً على «زاموندا»، أنّ له ولداً يُدعى لافِل، يعيش في «كوينز» في نيويورك. لذا، وتلبيةً للرغبة الأخيرة لوالده، يُقرّر أكيم العودة إلى الولايات المتحدّة الأميركية، رفقة مساعده الوفيّ سامي.

■ Venom: Let There Be Carnage لآندي سِرْكِس، تمثيل وودي هارلسون وتوم هاردي وميشيل ويليامز (الصورة): ثالث فيلم أبطاله خارقون لـ«سوني بيكتشرز يونيفرس. شخصيات مارفل»، يتناول حكاية إدي بروك، المعروف بـ«فنوم»، العائد بعد غياب لمواجهة كلوتوس كاسيدي، القاتل المتسلسل، كما يواجه في الوقت نفسه فرنسيس لويز باريزون.

■ Cruella لكريغ غيلّسبي، تمثيل إيما تومبسون (الصورة)، وإيما ستون وبول والتر هاوزر وجويل فْري: في سبعينيات القرن العشرين، في لندن، مُصمّمة الأزياء الشابّة استيلا «كرويلّا» دو فيل تعيش هوساً مخيفاً يتعلّق بكيفية تطوير جِلْد كلابها، خصوصاً الكلاب المنتمية إلى فصيلة «دالمايشين». شخصية كرويلا عائدة إلى الكاتبة دوروتي غلاديس سميث، التي ابتكرتها في روايتها «101 دالمايشين» عام 1956.

■ Raya And The Last Dragon، فيلم تحريك لدون هال وكارلوس لوبيز (إنتاج «استديو التحريك. والت ديزني» و«والت ديزني بيكتشرز»)، بصوتي كيلي ماري تران (الصورة)، وأوكوافينا للشخصيتين الرئيسيتين: في بلد يُسمّى «كوماندرا»، المُقسّم إلى خمسة أجزاء، تنشأ صبيّة تُدعى رايا، تتدرّب منذ طفولتها لتُصبح مقاتلة. وعند بلوغها، تُقرّر البحث عن تنينٍ يُقال لها إنّه آخر التنانين في العالم.

■ Godzilla vs Kong لآدم وينغارد، تمثيل ريبيكا هال (الصورة)، وألكسندر سْكارسْغارد وكايل تشاندلر: إنّه الفيلم الـ23 لغودزيلا، والفيلم التاسع لكينغ كونغ. في زمن يشهد سيطرة الوحوش على الأرض، بينما الإنسانية تناضل من أجل مستقبلها، يقع صدامٌ عنيف بين غودزيلا وكينغ كونغ، أقوى قوّتين في العالم، ويحصل صراعٌ سيكون الأعنف في المشهد الاستعراضي. هناك شخصيات تُشبهها، وحكايات تتداخل في ما بينها.

ستيلا ماغي ونزوة 11 دقيقة

زمن مسروق للرومانسية كصورة نادرة

محمد بنعزيز

قال لها: «عشاء لذيذ». أجابته: «لا أريد أنْ يكون كلّ مُنجَزي في الحياة تحضير العشاء» («الصورة»، ستيلا ماغي، 2020).

هذا مطلوبٌ من النساء في مجتمع بطريركي. أرادت الشابّة كريستينا إيميس (شانتي آدامز) التحرّر من هذا، فهجرت حبيبها الريفي، ورحلت إلى المدينة الكبيرة. هناك، ناضلت لتحقيق حلمها. صُدمت من ردّ فعل حبيبها. تحمّلت، وتابعت المغامرة في مدينة كوزموبوليتية متحرّرة. هناك، في المدينة الكبيرة، عاش العلاقات العابرة. كيف هي العلاقة بين رجل وامرأة التقيا توّاً؟ بعد تفريغ النزوة، نرى غريبين في سرير واحد. رأساً لرأس.

في المدينة، العمل والاستقلال الاقتصادي مخطّط لهما على مدى طويل، بينما العلاقات العاطفية «ابنة ساعتها». ينطبق هنا قول ابن حزم في «طوق الحمامة»: «أسرع الأشياء نموّاً أسرعها فناءً».

نزوة عمرها «إحدى عشرة دقيقة». علاقة تُشبه لحظة التقاط صورة. تسمع صوتاً، وتطلق برقاً، ثم تهمد.

تمكّنت ستيلا ماغي (1980) من جعلنا نرى هذا المأزق، الذي يصيرُ الحبّ فيه ضحية للطموح الجارف. مع ذلك، تُصوّر شخصياتها قريبةً من الكاميرا. تلتقطها بحبّ، ولا تُدينها. يساعد الجانب الدلالي للتقطيع في بناء المعنى. الكاميرا الفوتوغرافية سابقة على الكاميرا السينماتوغرافية، ومؤسِّسة لجماليّاتها. التأطير لغة بصرية، يُنتظر أنْ تعرض للعين فكرة المشهد مجسّمة.

يعرض الفيلم صُوَرًا تبني السيرة الشخصية للمُصوّرة. فيه صُوَر ورقية

«صورة» رومانسية او ارتباك علاقات؟ (الملف الصحافي للفيلم)

> العلاقات عابرة في المدينة الكوزموبوليتية المتحرّرة

الفيلم مأزق الفرد بين تحقيق طموحه، وعيش حياة طبيعية يتهدّدها الروتين. تُمكّن الصُوَرُ القويةُ المُشاهدَ من بناء علاقة حسّية مع ما يشاهده. يتّضح أنّ بناء علاقة حميمية حقيقية بين شخصين يحتاج إلى زمن، والزمن سلعة نادرة. لذلك، الحميمية السطحية التي تتشكّل في المساء، تتبدّد في الصباح. ثم تُعاد الكرّة في نهاية الأسبوع الموالي.

هذا فيلم لا يطرح قضية كبرى تصلح للتنظير، بل يتناول العالم الداخلي الحميميّ للفرد، في مجتمع مفتوح لا رقيب فيه ولا واشٍ. فيلمٌ عن الزمن الرومانسي المسروق من زمن العمل والجري الدائم في المدينة المتاهة.

على هذا المستوى، تشبه عوالم ستيلا ماغي عوالم الروائية الأميركية توني موريسون، في روايتها «أكثر العيون زرقة»، خاصة على مستوى ملاحظة التفاصيل الحميمية، التي يصعب على الرجال الانتباه إليها، في ظلّ هوسهم بالعالم الخارجي.

يعرض «الصورة» اختلاف مكانيْن، نيويورك ونيو أورليان. مركز وهامش. هذا الكادر وضعته ماغي لعرض حكايتها بصرياً. مع ذلك، يبدو أنّ الغيتو يمتدّ في المكانين، فللبطلة صديقة سمراء وصديق أسود وجيران سود، يتحرّكون في فضاء اجتماعي لا يظهر فيه إلا السود. هذا أيضاً يُذكّر بروايات موريسون.

أية شجاعة أنْ تُنتج «يونيفرسال» فيلماً كهذا، من دون مطاردات ورصاص ودم؟ لكنْ، لنعد إلى السؤال الرئيسي: ماذا غداً صباحاً؟ ماذا بعد نزوة؟

النص الكامل
على الموقع الالكتروني